بيوت المتقين

السنة السابعة

نشـــرة شهريـــة تهتـم بنشـــر الثقافـــة الدينـــية للمؤمنيـــن

تصدر عن: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية - العدد (٧٥) شهر شعبان المعظّم سنة ١٤٤١هـ

- من كرامات الإمام الحسين عليه السلام
- نور الإيمان وظلمات الكفر
- الاستبداد (الحلقة الرابعة)

جامع المرادية
في بغداد

١٥ / شعبان / سنة (٢٥٥هـ)

ولادة الإمام صاحب العصر والزمان

الحجة بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

اقــرأ في هــذا العــــدد

❖ وقفة فقهية

الصوم المستحب ص٦-٧

❖ مساجدنـــا

جامع المرادية في بغداد ص١٢-١٣

❖ الآداب الإسلامية

آداب المشاورة في الإسلام/ ح٤ ..... ص١٤-١٥

❖ عقائدنـــا

هل الإنسان مخيّر أم مسيّر؟ ص١٨-١٩

العتبة العلوية المقدسة | قسم الشؤون الدينية | شعبة التبليغ

رئيس التحرير
الشيـــخ حـــازم الـــترابي

مدير التحرير
الشيـــخ وصـــفي الحلفـــي

هيئة التحرير
الشيخ رعـد العبـادي
الشيخ حسين الهاشمي
الشيخ وصفي الحلفي

التدقيق
شعبة التبليغ الديني

التصميم والإخراج الفني
حسـن المـوسـوي
ضـــياء نســـيم

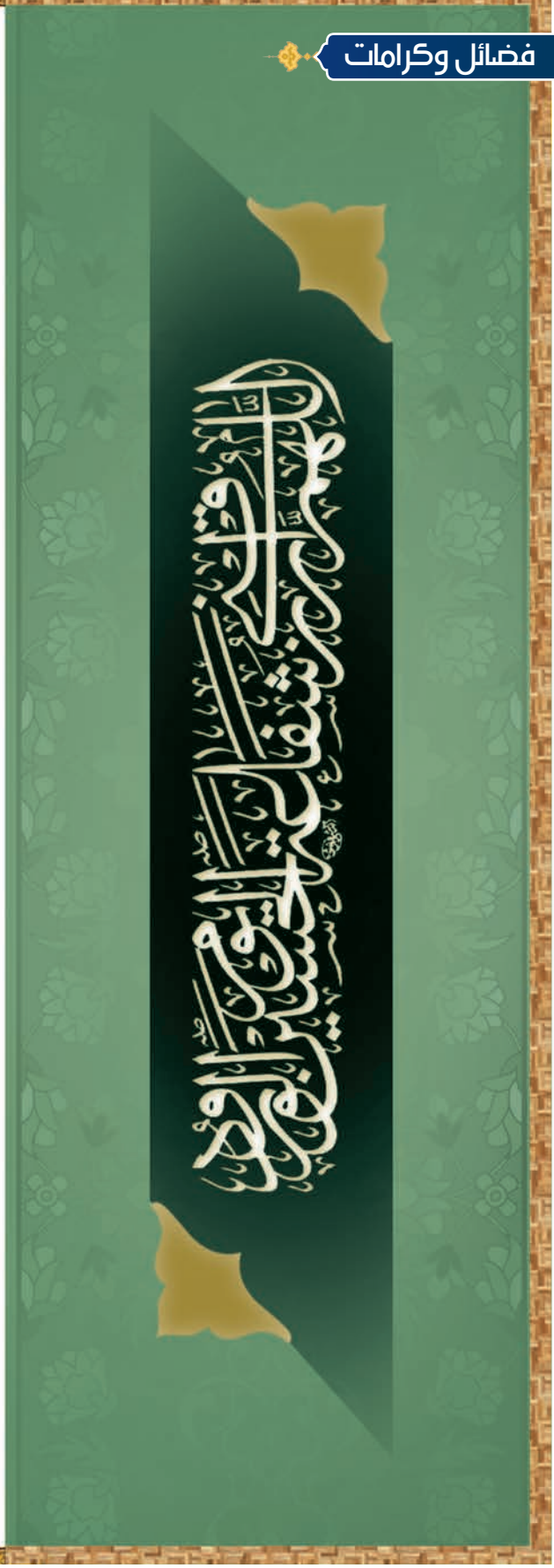

من كرامات الإمام الحسين عليه السلام

عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال: (جاء أهل الكوفة إلى علي عليه السلام فشكوا إليه إمساك المطر وقالوا له استسقِ لنا فقال للحسين عليه السلام: قمْ واستسقِ فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على النبي، وقال: اللهمَّ مُعطي الخيرات ومُنزل البركات أرسل السماء علينا مدراراً واسقنا غيثاً مغزاراً واسعاً غدقاً مُجلّلاً سحاً سفوحاً ثجاجاً تَنفِّسُ به الضعيف من عبادك وتحي به الميت من بلادك آمين ربَّ العالمين. فما فرغ عليه السلام من دعائه

حتى غاث الله غيثاً نعته عليه السلام وأقبل أعرابي من بعض نواحي الكوفة فقال: تركت الأودية والاكام يموج بعضها في بعض) (عيون المعجزات: ص٥٦).

عن أبي خالد الكابلي، عن يحيى ابن أم الطويل قال: «كنّا عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شاب يبكي، فقال له الحسين: ما يُبكيك قال: إنَّ والدتي توفّيت في هذه الساعة ولم توصِ، ولها مال وكانت قد أمرتني أن لا أُحدِّث في أمرها شيئاً حتى أُعلمك خبرها.

فقال الحسين عليه السلام: قوموا بنا حتى نصير إلى هذه الحرّة.

فقمنا معه حتى انتهينا إلى باب البيت الذي فيه المرأة [وهي] مسجّاةً فأشرف على البيت، ودعا الله ليحييها حتى تُوصي بما تُحب من وصيتها فأحياها الله، وإذا المرأة جلست وهي تتشهد، ثمّ نظرت إلى الحسين عليه السلام فقالت: ادخل البيت يا مولاي ومُرني بأمرك.

فدخل وجلس على مخدّة ثمّ قال لها: وصي، يرحمك الله.

فقالت: يا بن رسول الله [إنّ] لي من المال وكذا وكذا في مكان كذا وكذا وقد جعلت ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك، والثلثان لابني هذا إن علمت أنّه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفاً فخذه إليك، فلا حقّ للمخالفين في أموال المؤمنين.

ثمّ سألته أن يُصلّي عليها وأن يتولّى أمرها، ثمّ صارت المرأة ميتة كما كانت» (الخرائج والجرائح: ج١، ص٢٤٦).

الصوم المستحب

وفق فتاوى سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله

السؤال: هل بالإمكان أن أقضي الصوم الواجب والصوم المستحب في الوقت نفسه؟

الجواب: لا يجوز ذلك، بل ينوي القضاء فقط؛ إذ لا يجوز التبرّع بالصوم لمن عليه قضاء شهر رمضان.

السؤال: هل لي أن أصوم الصوم المستحب مثل: أيام شهر رجب، والنصف من شعبان، أو يجب أن أقضي أولاً؟

الجواب: لا يجوز التبرع بالصوم لمن عليه قضاء شهر رمضان.

السؤال: هل يجوز الصوم المستحب في بعض الأيام إذا كان الشخص مطلوب قضاء لشهر رمضان لعدد من الأيام وله متسع من الوقت ليقضي ما بذمته قبل حلول رمضان التالي؟

الجواب: لا يجوز، ولكن إذا قصد القضاء وصامه في تلك الأيام لنيل ثوابها يرجى له ذلك أيضاً إن شاء الله تعالى.

السؤال: إذا صام شخص صوماً مستحباً هل يجوز له السفر في أيّ وقت؛ لأنّ صومه مستحب أم حكمه حكم صيام الواجب يرجع قبل الزوال أويسافر بعد الزوال؟

الجواب: لا يصح الصوم المستحب في السفر كالواجب إلّا إذا رجع من سفره ولو قبل الغروب و لم يتناول المفطر فيجوز له أن ينوي صوم ذلك اليوم و يجوز له الإبطال متى شاء .

السؤال: هل يجوز الصوم في مواليد ووفيات أهل البيت عليهم السلام ؟

الجواب: يجوز.

السؤال: ما حكم صيام مَن تعمّد الجماع في الصيام المستحب؟

الجواب: باطل.

السؤال: هل يشرع الصوم المستحب لمن عليه كفارة أفطار شهر رمضان عمداً؟

الجواب: نعم.

السؤال: ما حكم مَن كان صائماً صيام مستحباً واستيقظ صباحاً مجنباً فهل صيامه صحيح؟

الجواب: صيامه صحيح.

السؤال: ما حكم مَن أفطر ناسيا في الصيام المستحب؟

الجواب: صومه صحيح.

السؤال: إذا صمت صوما مستحبا ولكن لم أستطع أكمال هذا الصوم فهل يجب عليّ أن أقضي هذا اليوم؟

الجواب: يجوز الإفطار اختياراً و لا يجب القضاء.

السؤال: هل يكون صيام التطوّع صحيحاً بعد أذان الفجر دون النية من الليل والشخص على جنابة؟

الجواب: نعم يقع صحيحاً.

السؤال: لو كنت صائمةً صياماً مستحباً (أي في شهر شعبان مثلاً) ونزل دم الحيض في الساعة الثالثة ظهراً، فهل يجب عليّ قضاء هذا اليوم؟

الجواب: يبطل الصوم حتى لو نزل الدم في آخر لحظة من النهار،ولكن لا يجب قضاء الصوم المستحب.

السؤال: هل يصحّ الصوم المستحب للمرأة

المستحاضة استحاضة صغرى؟

الجواب: نعم يصحّ.

السؤال: لو بقي شخص على الجنابة متعمداً إلى حين دخول وقت صلاة الصبح، وهو عازم على الصيام المستحب قربة إلى الله تعالى، فما حكم صومه؟

الجواب: صومه صحيح.

السؤال: شخص صائم استحباباً وتناول الطعام نسياناً فهل يبطل صومه؟

الجواب: لا يبطل.

السؤال: شخص لم يكن ناوياً للصيام وأمسك عن الطعام لا إرادياً وقبل الغروب نوى أن يصوم استحباباً هل يصح منه أم لا؟

الجواب: يصح.

السؤال: ما هو حكم الصوم المستحب إذا كان بقصد الصوم المستحب كما في شهر رجب وشعبان بقصد نيل الأجر والثواب والقصد الثاني هو الاستعانة بالصوم كفرصة لإنقاص الوزن؟

الجواب: إن كان الداعي إلى الأمر المذكور هو القربة إلى الله تعالى فلا بأس، وإن لم يكن الداعي هو القربة، فإن لم يكن الداعي الإلهي محرّكاً وداعياً بالاستقلال فيبطل الصوم، بل وإن كان كذلك على الأحوط لزوماً.

السؤال: هل يجوز صيام شعبان وإيصاله بشهر رمضان من غير أن يفصل بين الشهرين بيوم يفطر؟

الجواب: لا مانع منه.

السؤال: هل يحق لزوجتي أن تصوم الصوم المستحب بدون علمي؟

الجواب: يجوز إلّا إذا كان مزاحماً لحق الزوج في الفراش.

السؤال: هل يجوز الإفطار قبل وقته في الصيام المستحب؟ وإن كنت قد فعلت ذلك فهل عليّ شيء؟ ومتى يكون الزوال؟

الجواب: يجوز الإفطار في الصوم المستحب متى شئت وليس فيه كفارة، والزوال هو الظهر.

السؤال: ماهو حكم الإفطار في الصيام المستحب بعد الزوال؟

الجواب: يجوز.

السؤال: ما حكم الصوم المستحب في السفر؟

الجواب: لا يجوز.

السؤال: هل يجب على الولد أن يستأذن والديه من أجل أن يصوم صوماً مستحباً؟

الجواب: لا يجب.

السؤال: هل يصح ويشرع الصوم استحباباً على نعمة أو لأجل نعمة من نعم الله تعالى حصلت للعبد أو حاجة قضيت، أي: هل صوم الشكر مشروع جائز؟

الجواب: الصوم مستحب نفسي، ومشروع لأية غاية سائغة.

السؤال: في الصوم الاستحبابي يتوسع وقت النية إلى الغروب وفي الواجب إلى ما قبل الزوال، ولكن هل يعم هذا ما إذا أراد الإنسان الصوم عن غيره نيابة؟

الجواب: نعم يشمل.

السؤال: إذا كنت صائماً صوماً مستحباً ودُعيت للأكل، فما هو الأفضل إكمال الصوم ورفض الدعوة أم إجابتها والإفطار؟

الجواب: إذا كان يدخل السرور على صاحب الدعوة المؤمن بالأكل من طعامه فالأفضل الإجابة.

السؤال: مَن كان صائماً استحباباً ودُعي من قِبل أخ مؤمن للإفطار والأكل قبل الزوال فهل يستحب تلبية الدعوة والإفطار؟

الجواب: لا يكره البقاء على الصوم، ولكن يستحب الإجابة إذا كانت دعوة جادّة لا ما اعتاده الناس من تقديم حلوى أو شاي للإفطار.

نور الإيمان وظلمات الكفر

﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة: آية٢٥٧).

معنى الولي

ذكر الشيخ الطوسي في تفسيره معنى (وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا) أي: (نصيرهم، ومعينهم في كل ما بهم إليه الحاجة، فيه صلاح لهم في دينهم ودنياهم وإنّما يوصف بالولي مَن كان أولى بغيره وأحق بتدبيره. ومنه الوالي؛ لأنّه يلي القوم بالتدبير والأمر، والنهي، ومنه... ولي اليتيم، لأنّه يلي أمر ماله بالحفظ له والقيام عليه.

والله تعالى يتولّى المؤمنين على ثلاثة أوجه: يتولاهم بالمعونة على إقامة الحجة، ويتولاهم بالنصرة لهم في الحرب حتى يغلبوا، ويتولاهم بالمثوبة على الطاعة. (تفسير التبيان: ج٢، ص٣١٣).

تفسير الآية

إنّ معنى قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان؛ لأنّ الكفر كالظلمة في المنع من إدراك الحق كما أنّ الظلمة مانعة من إدراك البصر.

ووجه إخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان بإهدائهم إليه، ونصب الأدلة لهم، وترغيبهم فيه، وفعله بهم من الألطاف ما يقوي دواعيهم إلى الإيمان، فإذا اختاروا الإيمان، فكأنّ الله أخرجهم منها، ويتضح من ذلك أنّ المؤمنين في مسيرهم نحو الكمال المطلق بحاجة شديدة إلى الهداية الإلهية في كل مرحلة وفي كل قدم وكل عمل، وذلك مثل قولنا في الصلاة كل يوم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (سورة الفاتحة: آية٦).

ولم يجزْ أن يقال: إنّه أخرج الكفار من الظلمات إلى النور من حيث قدرهم على الإيمان، ودعاهم إليه ورغّبهم فيه، كما فعل بالمؤمنين؛ لأنهّم لم يختاروا الإيمان، فلم يجز أن يقال: إنه أخرجهم منه لأنّه توهّم أنهّم فعلوا الإيمان. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، إنّما أضاف إخراجهم: مِنَ النُّورِ الذي هو الإيمان إلى الكفر إلى الطاغوت (الأوثان، والشيطان، والحاكم الجائر، وأمثال ذلك)، فهؤلاء يسوقونهم من النور إلى الظلمات، لما كان ذلك بإغوائهم، ودعائهم فأضاف ذلك إليهم، فهم عكس الأول.

وفي الآية دليل على فساد قول المجبرة في المخلوق، والإرادة؛ لأنّه تعالى نسب الإخراج من

نور الهدى إلى ظلمة الكفر والضلال إلى الطاغوت منكراً لتلك الحال، ولم يكن لينكر شيئاً أراده ولا يغيب شيئاً عنه فعله (تعالى الله) عن ذلك.

ملاحظات

١ – إنّ تشبيه الإيمان والكفر بالنور والظلمة تشبيه بليغ رائع، فالنور هو منبع الحياة ومصدر البركات والرشد والنمو والتكامل والتحرّك ومنطلق الاطمئنان والمعرفة والهداية، بينما الظلام رمز السكون والموت والنوم والجهل والضلال والخوف، وهكذا الإيمان والكفر.

٢ – النقطة الثانية هي أنّ الظلام في هذه الآية وفي آيات أُخرى جاء بصيغة الجمع (ظلمات)، والنور جاء بصيغة المفرد، وهذا يُشير إلى أنّ مسيرة الحق ليس فيها تفرّق وتشتت، بل هي مسيرة واحدة فهي كالخط المستقيم بين نقطتين؛ إذ إنّه واحد دائماً غير متعدد، أمّا الباطل والكفر فهما مصدر جميع أنواع الاختلاف والتشتت، حتى أنّ أهل الباطل غير منسجمين في باطلهم، وليس لهم هدف واحد كما هو الحال في الخطوط المائلة والمنحرفة بين نقطتين حيث يكون عددها على طرفي الخط المستقيم غير محدود ولا معدود.

واحتمل بعضٌ أنّ المراد من ذلك أنّ صفوف الباطل بالنسبة لأهل الحق كثيرة.

٣ – يمكن أن يقال: إنّ الكفار ليس لهم نور فيخرجوا منه، ولكن مع الالتفات إلى أنّ نور الإيمان موجود في فطرتهم دائماً فينطبق عليه هذا التعبير انطباقاً كاملاً.

٤ – من الواضح أنّ الله تعالى لا يُجبر المؤمنين للخروج من الظلمات إلى النور (ظلمات المعصية والجهل، والصفات الذميمة، والبعد عن الحق)، ولا يُكره الكفار على خروجهم من نور التوحيد الفطري، بل إنّ أعمال هؤلاء هي التي توجب هذا المصير وتُثمر هذه العاقبة. (تفسير الأمثل: ج٢، ص٢٦٥).

النور والظلمات في روايات أهل البيت عليهم السلام:

١ – عن مسعدة بن صدقة قال: قصّ أبو عبد الله عليه السلام قصّة الفريقين جميعاً في الميثاق حتى بلغ الاستثناء من الله في الفريقين، فقال: (إنّ الخير والشرّ خلقان من خلق الله فيهما المشية في تحويل ما يشاء فيما قدر فيها حال عن حال، والمشية فيما خلق لها من خلقه في منتهى ما قسم لهم من الخير والشرّ، وذلك أنّ الله قال في كتابه: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، فالنور آل محمد عليهم السلام والظلمات عدوّهم». (تفسير العياشي: ج١، ص١٣٩).

٢– عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «... وقوله: ﴿لا إكراه في الدين﴾، أي: لا يكره أحد على دينه إلّا بعد أن قد تبيّن له الرشد من الغي: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ وهم الذين غصبوا آل محمد حقّهم ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ يعني الولاية ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ أي: حبل لا انقطاع له يعني أمير المؤمنين والأئمة بعده عليهم السلام ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وهم الذين اتبعوا آل محمد عليهم السلام ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾، هم الظالمون لآل محمد والذين اتبعوا من غصبهم، ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ...﴾)(تفسير القمي: ج١، ص٨٥).

شَأْنُ إِنَّا أَنْزَلْنَاه فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وتَفْسِيرِهَا

من أصول الكافي الشريف

١- وعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام كَثِيراً مَا يَقُولُ مَا اجْتَمَعَ التَّيْمِيُّ والْعَدَوِيُّ عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وهُوَ يَقْرَأُ - إِنَّا أَنْزَلْنَاه بِتَخَشُّعٍ وبُكَاءٍ فَيَقُولَانِ: مَا أَشَدَّ رِقَّتَكَ لِهَذِه السُّورَةِ فَيَقُولُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: لِمَا رَأَتْ عَيْنِي ووَعَى قَلْبِي ولِمَا يَرَى قَلْبُ هَذَا مِنْ بَعْدِي. فَيَقُولَانِ: ومَا الَّذِي رَأَيْتَ، ومَا الَّذِي يَرَى. قَالَ: فَيَكْتُبُ لَهُمَا فِي التُّرَابِ: ﴿تَنَزَّلُ الملائِكَةُ والرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ هَلْ بَقِيَ شَيْءٌ بَعْدَ قَوْلِه عَزَّ وجَلَّ: (كُلِّ أَمْرٍ). فَيَقُولَانِ: لَا. فَيَقُولُ هَلْ تَعْلَمَانِ مَنِ الْمُنَزَّلُ إِلَيْه بِذَلِكَ؟ فَيَقُولَانِ: أَنْتَ يَا رَسُولَ الله. فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: هَلْ تَكُونُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مِنْ بَعْدِي؟ فَيَقُولَانِ: نَعَمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلْ يَنْزِلُ ذَلِكَ الأَمْرُ فِيهَا؟ فَيَقُولَانِ: نَعَمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: إِلَى مَنْ؟ فَيَقُولَانِ: لَا نَدْرِي. فَيَأْخُذُ بِرَأْسِي ويَقُولُ: إِنْ لَمْ تَدْرِيَا فَادْرِيَا هُوَ هَذَا مِنْ بَعْدِي. قَالَ: فَإِنْ كَانَا لَيَعْرِفَانِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله مِنْ شِدَّةِ مَا يُدَاخِلُهُمَا مِنَ الرُّعْبِ».

٢- عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «قَالَ الله (عَزَّ وجَلَّ) فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: ﴿فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، يَقُولُ يَنْزِلُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ والْمُحْكَمُ لَيْسَ بِشَيْئَيْنِ إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ فَمَنْ حَكَمَ بِمَا لَيْسَ فِيه اخْتِلَافٌ فَحُكْمُه مِنْ حُكْمِ الله (عَزَّ وجَلَّ) ومَنْ حَكَمَ بِأَمْرٍ فِيه اخْتِلَافٌ فَرَأَى أَنَّه مُصِيبٌ فَقَدْ حَكَمَ بِحُكْمِ الطَّاغُوتِ إِنَّه لَيَنْزِلُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى وَلِيِّ الأَمْرِ تَفْسِيرُ الأُمُورِ سَنَةً سَنَةً يُؤْمَرُ فِيهَا فِي أَمْرِ نَفْسِه بِكَذَا وكَذَا وفِي أَمْرِ النَّاسِ بِكَذَا وكَذَا وإِنَّه لَيَحْدُثُ لِوَلِيِّ الأَمْرِ سِوَى ذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ عِلْمُ الله (عَزَّ وجَلَّ) الْخَاصُّ والْمَكْنُونُ الْعَجِيبُ الْمَخْزُونُ - مِثْلُ مَا يَنْزِلُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنَ الأَمْرِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ولَوْ أَنَّ ما فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ والْبَحْرُ يَمُدُّه مِنْ بَعْدِه سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾».

الشـــرح:

قوله عليه السلام: «ومَنْ حَكَمَ بِأَمْرٍ فِيه اخْتِلَافٌ»، أي له أحكام مختلفة في قضية واحدة مخصوصة! وهذا خلاف حكم الله تعالى، فحكمه في كل قضية حكماً واحداً ولا نسخ بعده ولا يتبدل حكمه بغيره بعد النبي صلى الله عليه وآله؟.

قوله عليه السلام: «فَقَدْ حَكَمَ بِحُكْمِ الطَّاغُوتِ»، وهو الذي يتّبع هواه ووساوس الشيطان ومن البيّن أنّ حكمه مخالف لحكم الله الذي لا اختلاف فيه وموافق لحكم الشيطان.

وقوله عليه السلام: «إِنَّه لَيَنْزِلُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى وَلِيِّ الأَمْرِ تَفْسِيرُ الأُمُورِ سَنَةً سَنَةً يُؤْمَرُ»، أي: ولي الأمر (فيهَا) أي: في ليلة القدر أو في تلك الأُمور، وهذا بيان لتفسير الأُمور وتفصيل له واعلم أنّ الاستدلال بسورة القدر على وجود إمام في كلّ عصر يتوقّف على استمرار حكمها وهو مذهبنا ومذهب العامة أيضاً.

قال عياض: «سُمّيت ليلة القدر (ليلة القدر) لتقدير الله تعالى فيها ما يكون في تلك السنة من الأرزاق والآجال وغير ذلك، والمراد بهذا التقدير

إظهاره تعالى لملائكته ممّا يكون من أفعاله بما سبق به علمه وقضاؤه في الأزل، ولخواصّ خلقه بنفسه أو بواسطة الملائكة وهو المراد بقوله: تنزّل الملائكة والروح...الآية، وقيل: سُمّيت بذلك لعظمة قدرها، وقال المازري: أجمع مَن يُعتدّ به على وجودها ودوامها إلى آخر الدهر لتظافر الأحاديث وكثرة رؤية الصالحين لها، وقال عياض: وشذّ قوم فقالوا: كانت خاصّة بهم ورفعت، لحديث: «أنّه أعلمها حتى تلاحا الرجلان فرفعت»، ومعنى هذا عندنا أنّه رفع علم عينها كما قال في آخر «فأنسيتها» انتهى.

وقال المازري: «واحتجاجهم بالحديث غلط لأن في آخره ما يرد عليهم قال فيه البخاري: فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في السبع أو التسع، فلو أُريد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها» انتهى.

وبالجملة ظاهر القرآن وصريح رواياتنا ورواياتهم وصريح أقوال علمائنا وعلمائهم في أنّ حكم ليلة القدر مستمرّ إلى آخر الدّهر والمنكر له مكابر.

وقوله عليه السلام: «عِلْمُ اللهِ (عَزَّ وجَلَّ) الْخَاصُّ والمَكْنُونُ الْعَجِيبُ الْمَخْزُونُ»، أضاف هذا العلم إلى الله تعالى مع أنّ العلوم كلّها منه تعالى للتعظيم والتشريف ثمّ وصفه بأربعة أوصاف:

الأول: الخاصّ، ولعلّ المراد به العلم المتعلّق بمعلوم معلوم كما أنّ الوجود الخاصّ الوجود المتعلّق بموجود موجود، أو العلم المختصّ به عليه السلام لا يشاركه أحد سواه.

والثاني: المكنون، والعلم المكنون هو العلم المستور عن أذهان الخلائق إلاّ مَن ارتضى من رسول الله ومَن يقوم مقامه.

والثالث: العجيب، والعلم العجيب ما يتعجّب منه لعظم موقعه وخفاء سببه ودقّة وجهه.

والرابع: المخزون وهو المكتوب في اللوح المحفوظ لأنّه خزانة العلوم أو الثابت في ذهن أهله لا يطرأ عليه السهو والنسيان، فإن قلت: جميع العلوم في القرآن واللوح المحفوظ وقد ثبت أنّهم علموا جميع ما فيهما فما معنى ذلك ؟ قلت: العلم بأنّ الشيء وجد مغاير للعلم بأنّه سيوجد، والأول هو المراد هنا والحاصل لهم هو الثاني.

وقوله عليه السلام: «مِثْلُ مَا يَنْزِلُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنَ الأَمْرِ»، دلّ على أنّه يحدث لهم في كل يوم وليلة مثل ما يحدث لهم في ليلة القدر. فإن قلت: أيّ فضل في ليلة القدر بالنسبة إلى غيرها حينئذٍ؟ قلت: لعلّ الفضل بنزول الملائكة والروح فيها لقصد زيارتهم وتبليغ بشارتهم.

وقوله عليه السلام: «ثُمَّ قَرَأَ» استشهاد لما سبق من كثرة علومه الفائضة على قلوبهم المطهّرة في كل يوم وليلة إلى انقراض الدهر ورفع لاستبعاد ذلك. وقوله «من شجرة» بيان لما وتنكيرها للتكثير، وقوله: «أقلام»، خبر أن وقوله «والبحر» بالرفع عطف على محلّ اسم (أن) أو الواو للحال والمراد به البحر المحيط من شعبه وخبره محذوف أي: ولو أنّ البحر مداد يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله. والمقصود أن هذا البحر مع بحار متكثّرة منضمّة إليه لو صارت مداداً وصارت الأشجار كلّها أقلاماً لا تفي بكتب كلمات الله وآياته وعلومه إنّ الله عزيز غالب قاهر على جميع ما سواه فلا يعجز عن شيء، حكيم يفعل ما يشاء على وفق الحكمة فلا يُسأل عمّا يفعل ومن جملته إفاضته العلوم غير المحصورة على الوجه المذكور إلى وليّ الأمر.

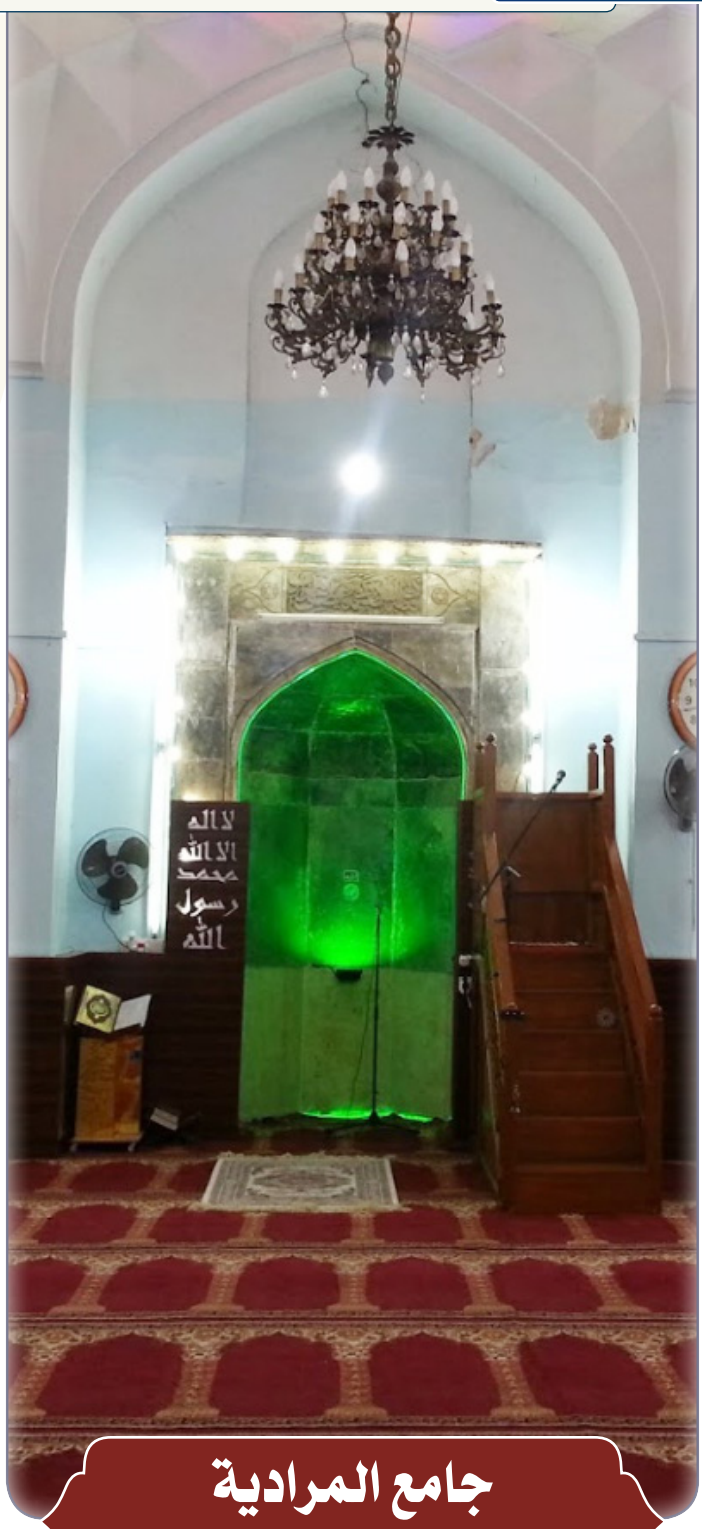

جامع المرادية
في بغداد

يُعرف جامع المرادية بجامع الميدان لوقوعه في محلّة الميدان القائمة في باب المعظّم، مقابل مبنى وزارة الدفاع، أمر بإنشاء هذا الجامع الوالي مراد باشا سنة (٩٧٨هـ/ ١٥٧١م).

الوصف المعماري للمبنى

يعتبر جامع المرادية من أجمل وأشهر الجوامع التي أُقيمت في تلك المرحلة التاريخية، ويعدّه الألوسي مفخرة لبغداد. ونظراً لجمال زخارفه، فهو يعتبر أحد عجائبها من حيث متانة البناء وارتفاعه. وهو جامع كبير يشغل مساحة مقدارها١٨٩٩ متراً مربعاً، يتألف من بيت الصلاة الذي يحتلّ قطعة من الأرض مستطيلة الشكل قياسها ١٠/ ٥١/ ٤٠م. ويشتمل المُصلّ على أربعة أعمدة رخامية، قسّمت بيت الصلاة على ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، أوسعها البلاطة الوسطى التي بلغ عرضها ١٠م، في حين بلغ عرض البلاطة الجانبية ٤م. يعلو هذه الأعمدة تيجان ذات شكل مخروطي ناقص، وهذا النوع من التيجان يعدّ من مميّزات عمارة مساجد بغداد التي بُنيت في تلك الحقبة، إذ نجدها في بناء جامع سيّد سلطان علي، وجامع الخاصكي، وفوق هذه الأعمدة الأربعة تقوم ستة عقود مدببة قائمة بصورة عمودية على جدار القبلة. ولكي يتمكّن المعمار من تحوير الجزء العلوي من المربع إلى مثمّن لإقامة القبة، أقام عقداً آخرَ في الزوايا الأربع لبلاطة

المحراب. تحصر هذه العقود بين أكتافها مثلثات كروية، وقد قُسّمت هذه المثلثات على صفوف من المقرنصات ذات مستويات مختلفة، يتوّج كل مثلث من هذه المثلثات أنصاف المقرنص، ونتج عن إقامة هذه المثلثات تحويل الجزء العلوي المربع لبلاطة المحراب إلى مدور؛ لإقامة الرقبة التي ترتكز عليها القبة. هذا فيما يتعلّق بعقود ومراحل انتقال بلاطة المحراب، أمّا البلاطة الجانبية، فقد احتوت على صفّين من العقود المدببة، قَسّمت البلاطة على ثلاثة أقسام مربعة، وأقيمت بين هذه العقود مثلثات كروية، قَسّمت على عدّة صفوف من المقرنصات على غرار مقرنصات مثلثات بلاطة المحراب، وقد اختلفت أحجامها وعددها باختلاف حجم المسافة التي تقوم فيها القبة والمقرنصات.

قِباب الجامع

لا شك أنّ تغطية بيت الصلاة في جامع المرادية تعدّ من أبرز الأمور العلمية التي نجح فيها المعمار إلى درجة كبيرة؛ إذ استخدم سبع قباب مختلفة الأحجام، أكبرها القبة الوسطى القائمة فوق بلاطة المحراب، سعتها عشرة أمتار، وارتفاعها١٠,٥ متراً. وقد امتازت قبة بلاطة المحراب بكبر حجمها وشكلها النصف كروي. والقبة نصف الكروية كانت معروفة في العمارة العراقية، إلّا أنّها تطوّرت خلال الحقبة التي تتحدّث عنها، وذلك لاتساع القاعة الوسطى التي تتوسط المُصلّى. هذا فيما يتعلّق بقبة بلاطة المحراب، أمّا البلاطة الجانبية، فقد نجح المعمار في تسقيف البلاطتين الجانبيتين لبلاطة المحراب، وذلك بإقامة ست قباب صغيرة من نوع القباب نصف الكروية، ثلاث فوق كل بلاطة، أكبرها القبة الوسطى، وكل قبة من هذه القباب تقوم على مثلثات قائمة بين أكتاف العقود كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ازدانت هذه المثلثات القائمة بين أكتاف العقود بأنّها ذات مستويات مختلفة متوّجة بأنصاف المقرنص يحيط بالقبة، مما جعل حافة محيطها مسننة الشكل تشبه تسنن حافة الصينية، ونتيجة لهذا التشابه فقد سُمّيت بالقبة الصينية.

المِئْذَنَة

ومن المميّزات المعمارية للجامع، احتواء الجامع على مئذنة تقوم في الركن الشمالي الغربي من جدار الرواق المطل على فناء الجامع تقوم في سمك الجدار، وهي تشبه مآذن بغداد التي أُقيمت خلال العصر العباسي؛ أي: إنّ المئذنة البغدادية احتفظت بطرازها الخاصّ بها دون التأثر بطراز المآذن العثمانية، التي تتكون من بدن أُسطواني ينتهي بشرفة واحدة أو أكثر، أمّا قمّة المئذنة فهي ذات شكل مخروطي مدبب مكسوة بالرصاص، هذا الطراز شاع في معظم أقطار العالم الإسلامي والعربي فيما عدا العراق.

لقد امتازت مئذنة المرادية دون غيرها من مآذن بغداد بكساء بدنها الأُسطواني ببلاطات خزفية ملونة ذات ألوان زاهية ازدانت بأشكال مختلفة تمثل زهريات وسلالاً تخرج منها باقات من الأغصان والأزهار.

آداب المشاورة في الإسلام | الحلقة الثانية

تُعدّ مسألة المشاورة خاصّة في الأمور الاجتماعية وما يتعلّق بمستقبل المجتمع من أهمّ المسائل التي عرضها الإسلام بدقّة وأهميّة خاصّة، ولها مكانة متميّزة في آيات القرآن الكريم والروايات الإسلامية.

وقد جاء الأمر بالمشورة في عدّة آيات من القرآن الكريم، ففي سورة آل عمران أمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله، بأن يشاور المسلمين في الأمور المهمّة وهو قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. (سورة آل عمران: آية١٥٩).

وفي سورة الشورى، وعند بيان الأوصاف المتميّزة للمؤمنين حقّاً يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.(سورة الشورى: آية٣٨).

وكما تلاحظون في هذه الآية، أنّ مسألة الشورى هي بمستوى الإيمان بالله تعالى والصلاة، إذ يبيّن ذلك أهميّتها الاستثنائية.

أحاديث في أهمية المشاورة:

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «مَن أراد أمراً فشاور فيه وقضى هدي لأرشد الأمور» (الدر المنثور: ج٦، ص١٠).

وعنه صلى الله عليه وآله: «مَن أراد أمراً فشاور فيه إمرأً مسلماً، وفقه الله لأرشد أموره» (كنز العمال: ج٢، ص٤٠٩).

وعنه صلى الله عليه وآله: «ما تشاور قوم إلّا هُدوا إلى رشدهم». (البحار: ج٧٥، ص).

وعنه صلى الله عليه وآله: «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاؤكم، وأمركم شورى بينكم، فَظَهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم فَبَطن الأرض خير لكم من ظَهرِها». (كنزل العمال: ج١١، ص١٢٣).

وعنه صلى الله عليه وآله: «لا يفعلن أحدكم أمراً حتى يستشير». (مكارم الأخلاق: ص٢٣٨).

وعن الإمام علي عليه السلام: «إذا عزمت فاستشر».(غرر الحكم: ص٤٤١).

وعنه عليه السلام: «إذا أمضيت أمراً فامضه بعد الروية ومراجعة المشورة». (غرر الحكم: ص٥٧).

وعنه عليه السلام: «خير مَن شاورت ذوو النهى والعلم وأولو التجارب والحزم». (غرر الحكم: ص٤٤٢).

ما هو حق المُستشير (من يطلب المشورة)؟

١- إن كان لك رأي فيما طلب فأعلمه برأيك، وإلّا فدله على مَن يملك ذلك الرأي.

٢- تجنّب السرعة في إبداء الرأي، إلّا بعد التفكير والتدقيق.

٣- أن يعلم المُستشار أنّ طلب الاستعانة به من الآخرين وأخذ رأيه هو نعمة من الله (عزّ وجلّ)، فيشكر الله على ذلك ويخلص في عمله، قال الإمام السجاد عليه السلام: «إرشاد المُستشير قضاء لحقّ النعمة». (الكافي: ج١، ص٢٠).

ما هو حقّ المُشير عليك (مَن تطلب منه المشورة)؟

١- لا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه، وتظن بذلك خيراً فقد تكون أنت المخطئ.

٢- تحمد الله عز وجل وتشكره وتدعو له إن وافق رأيه رأيك.

٣- عدم مخالفة رأي الناصح العاقل، فإنّ في ذلك الضرر لك.

مَن تشاور؟

١- شاور من يخشى الله ويخافه، المتقي الورع.

٢- شاور أصحاب التجارب (فالتجربة خير برهان وسلْ مجرّب ولا تسأل طبيب).

٣- شاور العاقل وإن لم يكن صديقك، ولا تشاور الجاهل وإن كان قريبك.

٤- لا تشاور مستبد برأيه معجب بنفسه.

٥- لا تشاور البخيل والأحمق والكذّاب والخائن والسفيه والفاسق.

٦- لا تشاور الجبان ولا الحريص.

جملة من الآداب التي ينبغي الحرص عليها:

١- عليه أن يستشير أصحاب الخبرة والتجربة ومَن يملكون مؤهلات إيمانية وأصحاب التخصصات في موضوع الاستشارة.

٢- عندما يستشير الإنسان الآخرين عليه أن يأخذ الرأي الأصوب والأحسن ولا يميل لرأي آخر تعصّباً منه.

٣- إذا كان هناك عدّة مستشارين واختلفوا في الرأي، فيأخذ رأي الأغلبية إذا لم يصلوا إلى نتيجة واحدة.

٤- على المستشير أن يأخذ آراء من يستشير ويطبّق رأيهم وإلّا فسيعتبر الآخرين تصرّفه مهين لهم فينفرون منه مستقبلاً.

٥- في الواجبات والمحرّمات ليس هناك مشورة، بل على الإنسان أن ينفّذ الأوامر الإلهية وأوامر الرسول الأكرم والأئمّة عليهم السلام، فليس هناك مشورة في أمر النبوّة والإمامة، وليس هناك مشورة في الأحكام الدينية كالصلاة، والصيام، والحج، والخمس...، وإنّما يرجع إلى الفقهاء المجتهدين.

٦- يجب على الإنسان إذا علم أنّ رأيه فيه إرشاد للجاهل، وتنبيه للغافل، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ولم يكن هناك شخص آخر يعمل ذلك، فعليه أن يبادر إلى طرح رأيه.

«اعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ فِي أَوْتَادِهَا»

نهج البلاغة: ج٣، ص١٩١

اعتصم: التجأ وامتنع. (المنجد: ص٥١٠). الذمم جمع الذمّة: الأمان؛ العهد، الضمان، يقال أنت في ذمّة الله، أي: في كنفه وجواره. (المصدر السابق: ص٢٣٧). أوتاد جمع الوَتَد: ما رُزَّ ـ أي ثُبّت ـ في الحائط أو الأرض من خشب ونحوه. (المصدر السابق: ص٨٨٥).

يُبيّن أمير المؤمنين عليه السلام، في هذه الحكمة أمراً يحتاج إليه غالب الناس؛ فإنّ الإنسان محتاج إلى سند وقوّة وضمان يرتكز عليه عند الحاجة، وكانت هذه الأمور كثيرة شائعة في زمنه، ولم تقل أهميتها في زمننا إلّا نسبياً للتفكك الأسري الحاصل في بعض المجتمعات خصوصاً المتمدنة والمنشغفة بحب التطوّر السريع المفاجئ، والتي تحسب كل دعوة إلى التروي والتمهل وأداً لفكرتهم وعرقلة لخطواتهم.

وهذه الحاجة تحتم على الفرد أو المجتمع أن يتكتل ويجتمع مع الآخرين؛ وهؤلاء ـ الآخرين ـ ليسوا على نسق واحد ولا نسج متماسك، فقد يلتجئ الإنسان إلى مَن لا عهد عنده ولا صدق ولا وفاء ولا إيمان بكل هذه المبادئ فيخسر نفسه؛ لأنّه أمّا أن يفشل في محاولته أو يؤثر ذاك الطرف فيه، وفي كلتا الحالتين يترك الأمر ثُقلاً على نفسيته وتوجهه الفكري.

فهي ـ الحكمة ـ دعوة إلى اختيار الجهة المناسبة ليكون الاستناد إليها استناد إلى ركن وثيق ومأوى أمين، وذلك محافظة على الأخلاق الصحيحة، والمبادئ الراسخة في النفوس؛ لئلا تتأثر بالاحتكاك خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما يفرضه الالتجاء والتعاهد من تبعية فكرية، ثقافية، سياسية، اجتماعية، وحتى اقتصادية فيكون المعاهد المعتصم تحت الشعاع لا يستطيع التغيير أو التغيّر؛ فنخسر المبادئ الصحيحة وهذا أمر صعب جداً؛ لأنّه يؤدي إلى انهيار في الأخلاق ممّا يعني التنازل وعدم الأهمية لما نشأنا عليه من أخلاق صحيحة طيّبة.

وغالباً ما يحتاج إلى التعاهد الغريب، قليل العُدّة والعدد، ضعيف الجانب وإنْ كثر عدده أو عدّته، فإذا لم تلاحق هؤلاء التعاليم الإسلامية، فيعني ذلك ضياعهم خصوصاً وأنّهم يعانون من أزمات نفسية، تجعلهم مهزوزي الشخصية، قليلي الإرادة، فينصاعون لما يفرض عليهم من شروط، فيكون المقابل للحماية ـ أحياناً ـ هو التخلّي عن الأخلاق والمبادئ، وهو أمر خطيراً جداً يُخشى من عواقبه الوخيمة على المسلمين كافة، فينبغي حُسن الاختيار والاعتصام بأهل الصدق والأمانة والوفاء لو دعت الحاجة الملحة بحكم الظروف إلى ذلك الاختيار.

كما يمكن أن نستشف من الحكمة بعض

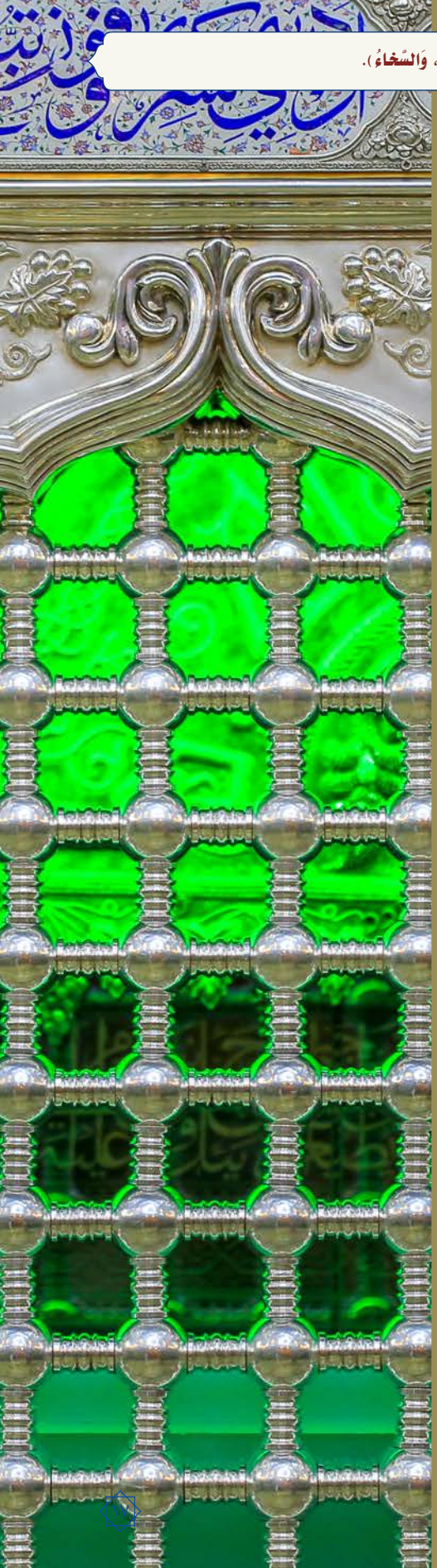

ما ينفع في هذه المرحلة التي كثر الاغتراب فيها، لتبرز قضايا ما كانت على الساحة بشكلها الواضح، ومن تلك القضايا: الالتزام بقانون بلد اللجوء والإقامة؛ إذ يُفترض قانونياً عند ما يمنح حق الدخول والإقامة لشخص أن يحترم القانون ويُطبّقه مادام في الحدود الدولية للبلد، وبعكسه فيتعرّض للمساءلة أو المعاقبة، فيلاحظ أنّ ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام، يمكن تطبيقه على هذا المورد الجديد لتتعرّف على أنّ الإنسان ليس له أن يتعدّى المسموح به؛ لأنّ تأشيرة الدخول أو اللجوء أو بطاقة الإقامة ونحو ذلك من الوثائق الرسمية الممنوحة تساوي الذمم التي عبّر بها الإمام عليه السلام، فلابدّ لَمن يريد الإفادة منها أن يكون دقيقاً في تعامله معها، فلا يتجاوز ولا يُزوّر ولا يُخالف، ولو لم يرقْ له الحال فيمكنه الاستبدال ببلد آخر، وماعدا الالتزام فيعد ناقصاً للذمّة، وهو ما لا يجوز ولا يسوغ شرعاً وقانوناً وذوقاً. (ينظر: أخلاق الإمام علي عليه السلام، السيد صادق الخرسان: ج١، ص٨٣)

قال ابن أبي الحديد عن هذه الحكمة: «هذه كلمة قالها عليه السلام، بعد انقضاء أمر الجمل وحضور قوم من الطلقاء بين يديه؛ ليبايعوه، منهم: مروان بن الحكم، فقال عليه السلام له: وماذا أصنع ببيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس؟ يعني بعد قتل عثمان ثمّ أمر بإخراجهم ورفع نفسه عن بيعة أمثالهم، وتكلّم بكلام ذكر فيه ذمام العربية وذمام الإسلام، وذكر أنّ مَن لا دين له فلا ذمام له، ثمّ قال في أثناء الكلام: فاعتصموا بالذّمم في أوتادها، أي: إذا صدرت عن ذوي الدين فمن لا دين له لا عهد له. (شرح ابن أبي الحديد ج١٨: ص٣٧٢).

هل الإنسان مُخيّر أم مُسيّر؟

إنّ الذي نعتقده في الإنسان استناداً لما ورد عن بيت العصمة عليهم السلام في الحديث الشريف: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين» إنّ الإنسان مُخيّر في أفعاله ولكنّه تحت إرادة الله سبحان وتعالى؛ ومعنى ذلك أنّ الله تعالى أعطى القدرة للإنسان لكي يفعل أعماله بمحض إرادته واختياره فلولا القدرة التي أفاضها الله عليه لم يتمكّن من العمل، لكن ليس معنى ذلك أنّه مُسيّر ومجبور، بل يصدر منه العمل باختياره، فهو متمكّن من الفعل كما هو متمكّن من الترك، فيختار الفعل أو الترك بإرادته؛ ولذا يكون مسؤولاً عن أفعاله ومؤاخذاً عليها؛ لأنّها صدرت منه بإرادته.

وهذا نظير الأب الذي يُعطي لولده مالاً ويطلب منه أن يصرفه في مصالحه، فلولا المال الذي أعطاه الأب لولده لم يتمكّن الولد من شراء شيء، وبعد الإعطاء يكون قادراً على الشراء لكنّه مختار في شراء الخمر وشربه كما هو مختار في شراء الطعام وأكله. فإذا اشترى الخمر وشربه، يكون الولد هو المسؤول عن فعله القبيح وللأب أن يعاقبه على ذلك مع أنّ القدرة على شراء الخمر إنّما حصلت بالمال الذي أعطاه الأب، لكن إعطاء المال لم يكن موجباً لسلب إرادة الولد، بل بعد التمكّن من المال الذي أعطاه الأب كان الولد متمكّناً من شراء ما ينفعه ومتمكّناً من شراء ما يضرّه، لكنّه بسوء اختياره اختار شراء الخمر وشربه، فهو المسؤول والمؤاخذ على فعله القبيح. والأدلة على ذلك كثيرة منها:

الدليل الأول: الآيات القرآنية دالة وبوضوح

على اختيار الإنسان، فالقرآن الكريم يقرّر حرية اختيار الإنسان في طوائف كثيرة منها:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (سورة الكهف: ٢٩).

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ (سورة الإنسان: ٣).

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (سورة البقرة: ١٤٨).

فهذه الآيات وغيرها الكثير تدل على أنّ الإنسان مُخيّر وليس مجبوراً على أفعاله.

الدليل الثاني: الروايات التي تُبيّن هذه الحقيقة ونكتفي بما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في حواره مع الشامي لمّا سأله: «أكان مسيره إلى الشام بقضاء من الله وقدره؟ ـ بعد كلام طويل ـ فقال عليه السلام ويحك لعلّك ظننت قضاء لازماً وقدراً حاتماً، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إنّ الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يكلّف عسيراً....». (بحار الأنوار: ج٥، ص١٢٧).

الدليل الثالث: الوجدان، فإنّ كل إنسان يشعر بوجدانه ومن داخله بأنّه مُخيّر وليس مُسيّراً، لأنّه يملك كامل حريته في الاختيار، ودليل حريته في الاختيار تردده في انتخاب الأشياء، ومسؤوليته عن فعله وإحساسه بالراحة عند انتخاب ما يصلح، وإحساسه بالندم عند انتخابه ما لا يصلح، والوجدان أقوى شاهد على هذه الحقيقة.

الدليل الرابع: فعل العقلاء، فإنّهم يمدحون العادل، والمُحسن من النّاس، ويذمّون الظالم الجائر، والمُسيء من الناس، ولو لم يكن الإنسان هو الفاعل باختياره لما استحق المدح أو الذم من قِبل العقلاء.

الدليل الخامس: إنّ العقاب، والثواب من الله تعالى على أعمال الإنسان أكبر دليل على الاختيار؛ ولأجل ذلك كلّفه الله تعالى بالأحكام الشرعية، واختبره بفعلها، والجزاء عليها، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لذلك، فليس لإنسان أن يحتجّ بالقدر إلّا بعد وقوعه، أي: فلا يجوز لإنسان مثلاً إذا قيل له: اتقِ الله ولا تعصه، وقمْ بما أمرك الله تعالى به، أو أقم الصلاة التي فرضها الله عليك. أن يقول: لم يقدّر الله عليّ الهداية، أو نحو هذا الكلام. قال الله تعالى ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٤).

فلو كان الإنسان مُسيّراً وليس مُخيّراً لقبح العقاب من الله (عز وجل)، بل لكان الله أظلم الظالمين ـ حاشاه ـ لأنّه يجبر الإنسان على فعل المعصية ثمّ يعاقبه عليه. هذه بعض الأدلة على كون الإنسان مُخيّراً وليس مُسيّراً.

علاقتنا بصاحب الزمان عليه السلام

يحيى غالي ياسين

من أشرف وأعزّ وأرقى وأنقى وأدوم العلاقات بعد العلاقة بالله (جلّ وعلا) هي العلاقة بحجج الله على الأرض، وما هي إلاّ امتداد للعلاقة مع الودود الرحيم، بل هي حلقة الوصل معه (جلّ وعلا)، ونحن إذ ندرك هذا الأمر ونؤمن به ونستشعره وجداناً إلّا أنّه عادةً ما ينقصنا أبجديات تحريك هذه العلاقة وبنائها وتعزيزها والاستفادة منها واستثمارها بوجهها الصحيح، فالإيمان بهذه العلاقة يعوزه العمل بها، والعمل بها يحتاج إلى ترك العمل بما ينافيها أو ينقصها، ويحتاج العملان (الفعل والترك) المداومة والمطاولة أنْ يصبحا سلوكاً وحالاً وملكةً عند صاحبها، وذلك هو الفتح المبين...

ولا ندّعي أنّنا من أصحاب ذلك الفتح المبين، وقد ينطبق على حالنا ما قاله الشاعر:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى

طبيب يداوي الناس وهو عليل

وتعلقاً بما ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ما يُشير إلى أنّ الدال على الخير كفاعله... نضع بين أيديكم بعض مرتكزات هذه العلاقة:

أولاً: النظر بهذه القضية، ونقصد بالنظر هنا التفكّر والتمعّن والتأمّل، بالإضافة إلى التسلّح بالثقافة المهدوية الرصينة، نتعرّف على تفاصيلها عقيدة وتأريخاً ومستقبلاً، وكذلك علينا أنْ نتعرّف على الشبهات وردودها، فقد كُتب في هذه القضية المباركة ما يزوّد القارئ والباحث مادة علمية تُغنيه خير غناء...

ثانياً: الإحساس والاستشعار بوجود الإمام عليه السلام شخصاً (كرعاية أو بركة) أو دعاءً، في كلّ خير نجده ونراه ونحسّ به في حياتنا. فقد كتب الإمام عليه السلام مخاطباً الشيخ المفيد: «... أنّا غير مُهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء -أي: الشدائد- واصطلمكم الأعداء، فاتقوا الله جلّ جلاله، وظاهرونا على انتياشكم مَن فتنة قد أنافت عليكم، يهلك فيها مَن حمّ أجله ويحمى عنها من أدرك أمله..»(المزار، للشيخ المفيد: ص٨).

ثالثاً: وكذلك علينا أنْ نلجأ إليه وندبه

ونتخذه الوسيلة عندما نمرّ بأيّة أزمةٍ نفسيةٍ أو جسديةٍ أو في عملٍ وما شاكل ذلك، فإنّ إغاثة الملهوف وإعانة المضطر من أعماله صلوات الله عليه وديدنه.

رابعاً: أنْ نذكره في دعائنا وصلاتنا وصدقتنا وحجّنا وعمرتنا، بل نستطيع أنْ نُهدي إليه ثواب جميع الأعمال الصالحة حتى إماطة الأذى عن الطريق والكلمة الطيبة...إلخ، ونحن بإهداء الثواب سوف لا ينقص من ثوابنا شيئاً، وإنّما سيزداد ثوابنا ويضاف إليه ثواب إهداء العمل.

خامساً: نستطيع أنْ نعمل جميع الأعمال الصالحة بنيّة الانتظار الصحيح أو التمهيد للظهور، بل حتى الخبرة التي نكسبها من خلال أعمالنا الجائزة والمباحة فضلاً عن المستحبة والواجبة، نستطيع أنْ نجعلها بعنوان التهيّؤ للظهور عسى أنْ يحتاجنا الإمام عليه السلام بخبرتنا هذه، فسيخرج الإمام عليه السلام بدولة، ودولة الإمام عليه السلام فيها السياسي، والعسكري، والطبيب، والمهندس، والمدرّس وفيها النجّار، والحدّاد، والصبّاغ، والسائق...الخ.

سادساً: هنالك أدعية وأعمال مخصوصة للإمام عليه السلام، كدعاء الندبة، ودعاء العهد، وزيارة ياسين، ودعاء تعجيل الفرج... إلى غيرها من الأعمال التي ذكرتها الكتب المختصّة، فهي تجدد العهد معه وتجدد البيعة له وكذلك إنّها من أنواع العلاقات الواردة إلينا بطريق شرعي معتمد.

سابعاً: أنْ نحضر في الأماكن والأزمان التي يحتمل تواجد الإمام فيها، كموسم الحجّ، أو زيارة الأربعين، أو مسجد السهلة في ليالي الأربعاء، فإنّها بلا شك ستكون مباركة وستكون الأعمال أقرب للقبول، وعسى أنْ نُرزق بنظرة شفقة ونظرة رأفة ننال بها سعادة الدارين.

ثامناً: علينا أنْ نستشعر بأنّ مراجع التقليد هم نوّاب الإمام عليه السلام، وإنّنا عند الرجوع إليهم وتقليدهم إنّما نرجع للإمام عليه السلام، كونه هو الذي أمرنا عليه السلام بذلك بقوله: «...وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا بها إلى رواة حديثنا...».

تاسعاً: علينا أنْ نستشعر بأنّ أعمالنا تُعرض عليه عليه السلام أسبوعياً، وأنّه سينظر لها وسيقلّب ملف ما نقوم به وسيفرح عندما يجد عملاً صالحاً، وسننال بذلك رضاه وثواب إدخال السرور على قلبه، وسيحزنه ما لو رأى غير ذلك، معاذ الله.

عاشراً: أنْ يكون عليه السلام هو المهنّأ من قِبلنا في أفراح أهل البيت عليهم السلام كالولادات وكبيعة الغدير.. وأنّه هو المُعزّى في المناسبات الحزينة كعاشوراء ووفيات الأئمّة عليهم السلام.

مناسبات شهر شعبان المعظم

عقيقة النبي صلى الله عليه وآله عن الحسين عليه السلام

في التاسع من شهر شعبان المعظّم سنة(٤هـ)، وقيل(٣هـ)، وهو اليوم السابع من مولد أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام عقَّ عنه النبيُّ صلى الله عليه وآله بكبشين أملحين، وحلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً فضة، وطلى رأسه بالخلوق، كما فعل بأخيه الحسن عليه السلام قبله.

شهادة سعيد بن جبير رضي الله عنه

في شهر شعبان المعظّم سنة (٩٥هـ)، استُشهد سعيد بن جبير الأسدي الكوفي على يد الحجّاج بن يوسف الثقفي.

وكان في جملة مَن خرج مع ابن الأشعث على الحجّاج، فلمّا ظفر الحجّاج هرب سعيد إلى أصبهان، ثم كان يتردد كل سنة إلى مكة مرّتين، مرّة للعمرة، ومرّة للحجّ.. واستمر في هذه الحال مُختفياً من الحجّاج قريباً من (١٢سنة)، ثمّ أرسله خالد القسري من مكة إلى الحجّاج.. ولمّا أُتي بسعيد إلى الحجّاج قال له: أنت الشقي بن كُسير؟ قال: لا، إنّما أنا سعيد بن جُبير، قال: لأقتلنك. قال: أنا إذا كما سمتني أمي سعيداً. قال: شقيت وشقيت أمّك. قال: الأمر ليس إليك. ثم قال: اضربوا عنقه، فقال دعوني أصلي ركعتين، قال: وجهوه إلى قبلة النصارى. قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ﴾ (البقرة: ١١٥)، فقال: اجلدوا به الأرض. فقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه: ٥٥) فقال: اذبح فما أنزعه لآيات الله منذ اليوم.

فقال: اللهمّ لا تسلّطه على أحد من بعدي.

قال ابن كثير: وقد عُوقب الحجّاج بعده وعُوجل بالعقوبة، فلم يلبث بعده إلاّ قليلاً، ثمّ أخذه الله أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ.. فقيل: إنّه مكث بعده (٢٥يوماً). وقيل: (٤٠يوماً). وقيل: ستة أشهر.

قال: واختلفوا في عمر سعيد بن جُبير رضي الله عنه حين قُتل، فقيل: تسعاً وأربعين سنة. وقيل: سبعاً وخمسين... وكان مقتله سنة (٩٥هـ).

وبعد أن قطع رأسه ورجليه دُفن رضي الله عنه في منطقة الحي من واسط، وقبره

مزاراً لمحبي أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

موت حفصة بنت عمر بن الخطاب

في شهر شعبان المعظّم سنة (٢٥هـ)، توفّيت حفصة بنت عمر بن الخطاب، فصلى مروان بن الحكم عليها وهو يومئذٍ عامل معاوية بن أبي سفيان على المدينة، وهي يومئذ ابنة (٦٠سنة).

وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وآله تحت خنيس بن حذافة السهمي، وهاجرت معه إلى المدينة، فتوفي عنها بعد بدر، وبعد ذلك أصبحت ضمن زوجات النبي صلى الله عليه وآله.

وروى أهل الحديث ومنهم: البخاري، ومسلم، أنّ حفصة وعائشة هما اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

عن ابن عباس قال: أردت أن أسأل عمر، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة.

وكانت حليفة لعائشة في جميع أفعالها، حتى أنّها أرادت المسير معها إلى البصرة في حرب الجمل، إلّا أنّ أخاها عبد الله منعها. ورُوي أنّ النبي صلى الله عليه وآله طلّقها مرّتين لسوء عشرتها، ولكنّه راجعها بعد توسّل شديد من عمر بن الخطاب.

سريّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى بني سعد

في شعبان المعظّم سنة (٦هـ) بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في سريّة إلى بني سعد بن بكر بفدك، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بلغه أنّ لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فبعثه في مئة رجل، فسار الليل وكَمُن النهار حتى انتهى إلى (الهمج)، وهو ماء بين خيبر وفدك وبين المدينة ست ليال، فوجدوا به رجلاً فسألوه عن القوم، فقال: أخبركم على أن تؤمنوني، فأمنوه فدلّهم، فأغاروا عليهم فأخذوا خمسمئة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن، ورأسهم وبر (بن عليم، فعزل عليّ عليه السلام صفي رسول الله صلى الله عليه وآله لقوحاً تُدعى (الحفذة)، ثمّ عزل الخمس، وقسّم سائر الغنائم على أصحابه، وقدِم المدينة ولم يلقَ كيداً.

وهناك مناسبات كثيرة ومهمة قد تم ذكرها في السنين السابقة لشهر شعبان، فمَن أراد الاطلّاع فليراجع.

رضوان الله عليه

أعين بن ضبيعة المجاشعي

اسمه ونسبه

أعين بن ضبيعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. (أسد الغابة: ج١: ص١٠٤).

أخباره

كان من أوائل الملتحقين من تميم البصرة بمعسكر أمير المؤمنين عليه السلام لمّا ورد البصرة في حرب الجمل، وجعله أميراً على رجّالة بني تميم، وجارية بن قدامه على تميم البصرة أجمع. (الجمل، الشيخ المفيد: ص٧٢).

كان أعين بن ضبيعة فدائياً، ومن الذين انتدبهم الإمام علي عليه السلام لعقر جمل عائشة؛ لأنّه أصبح مشكلة تهدد المسلمين، فصاح عليه السلام: «ويلكم،

أعقروا الجمل فإنّه شيطان، ثمّ قال عليه السلام: أعقروه وإلّا فُنيت العرب، ولا يزال السيف قائماً وراكعاً حتى يهوي هذا البعير إلى الأرض...». (شرح النهج، ابن أبي الحديد: ج١، ص٢٥٤).

فقصد ذوو الجدّ من أصحابه الجملَ حتى كشفوا أهل البصرة عنه، وأفضى إليه رجل من مراد الكوفة يقال له أعين بن ضبيعة، فكشف عرقوبه بالسيف فسقط وله رغاء. (الأخبار الطوال ـ أحمد بن داوُد الدينوري: ص١٥٠).

أرسله الإمام لوأد الفتنة

بعد أن قتل معاويةُ محمدَ بن أبي بكر والي مصر واستولى عليها، أرسل عبد الله، ابن الحضرمي إلى البصرة وأمره أن يدعو إلى الأخذ بثأر عثمان ويؤلِب الناس ضدَّ أمير المؤمنين عليه السلام، فالتفّ حوله مَن كان له هوى في عثمان، واشتدّ أمره حتى كاد يستولي على قصر الإمارة في البصرة، وكان الوالي آنذاك زياد بن عبيد من قبل عبد الله ابن عباس، ووصل الخبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فاستدعى أعين بن ضبيعة، وقال له: يا أعين ألم يبلغك أن قومك وثبوا على عاملي مع ابن الحضرمي في البصرة يدعون إلى فراقي وشقاقي، ويساعدون القاسطين الضلاَّل عليَّ؟

فقال أعين: لا تُسأْ يا أمير المؤمنين، ولا يكن ما تكره، ابعثني إليهم وأنا لك زعيم بطاعتهم وتفريق جماعتهم، ونفي ابن الحضرمي من البصرة أو قتله.

فقال عليه السلام: فاخرج الساعة. فخرج إلى البصرة وأتى واليها زياد وأخبره عن إرسال الإمام له لوأد الفتنة، ثمّ قال: إنّي لأرجو أن يكفى هذا الأمر إن شاء الله، ثم أتى رحله فجمع رجالاً من قومه، ثمّ خطب فيهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا قوم علام تقتلون أنفسكم، وتهرقون دماءكم على الباطل مع السفهاء الأشرار؟ وإنّي والله ما جئتكم حتى عبيت لكم الجنود، فإن تُنيبوا إلى الحق يُقبل منكم ويُكف عنكم، وإن أبيتم فهو والله استئصالكم وبواركم. فقالوا: بل نسمع ونطيع. فقال: انهضوا الآن على بركة الله (عزّ وجلّ)، فنهض بهم إلى جماعة ابن الحضرمي، فصافوه وواقفهم عامّة يومه يناشدهم الله، ويقول: يا قوم، لا تنكثوا بيعتكم ولا تخالفوا إمامكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً، فقد رأيتم وجربتم كيف صنع الله بكم عند نكثكم بيعتكم وخلافكم، فكفّوا عنه ولم يكن بينه وبينهم قتال، وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه، ثمّ انصرف عنهم وآوى إلى فراشه ظناً منه أنّهم تؤثر فيهم الموعظة والنصيحة، لكن عشرة من أتباع ابن الحضرمي، وقيل من الخوارج دخلوا رحله ليلاً وقتلوه وهو نائم على فراشه فاستُشهد رحمه الله سنة ثمان وثلاثين للهجرة. (أعيان الشيعة ـ السيّد محسن الأمين: ج٣، ص ٤٦٨).

الاسْتِبْدَادَ

الحلقة الرابعة

ما زال الكلام حول الاستبداد...

أسباب الاستبداد:

تتعدد أسباب نشوء الاستبداد باختلاف الظروف والعوامل، ولكن القاسم المشترك هو عوامل معنوية تنبع من ذات الإنسان الذي يشكّل عبر مجموعة الأفراد والمجتمع الأرضية القابلة لتحقق الاستبداد فيه، ذلك أنّ الاستبداد كالنبتة الخبيثة التي تنبت في التربة السيئة ولا تنبت في التربة الصالحة. وهناك قصّة في التاريخ تُعبّر عن هذا المعنى، عن ملك مغولي سأل الناس في مدينة فتحها وأراد قتلهم عن السبب في تسلّطه عليهم، فإن قالوا الله قتلهم، وإن قالوا هو الذي تسلّط عليهم قتلهم؛ لأنّ ذلك يعني أن القدر أوجب قتلهم، فأجابه حكيم منهم إنّهم هم الذين سلّطوه على أنفسهم بضعفهم وخوفهم.

هناك العديد من الأسباب والعوامل التي تقف وراء بروز ظاهرة الاستبداد، لعلّ أهمها ما يلي:

التربية العائلية والاجتماعية: تُساهم بشكل كبير في وجود الاستبداد؛ لأنّ الاستبداد سلوك يتعلّمه الإنسان من خلال ما يكتسبه من قيم وتقاليد خلال مدّة حياته، فعندما يكون الجو العائلي مشحوناً بالتسلّط والقهر والأحادية، فإنّ هذا ينعكس على الأبناء بشكل سلوك عام تظهر كوامنه وآثاره على اتجاهين الفاعلية حيث

يكون الاستبداد السلوك الأولي الذي ينتهجه الفرد في تعامله مع الآخرين، واتجاه القابلية حيث يكون الفرد جاهزاً لقبول الاستبداد بكل أنواعه والتعاون معه.

القضاء على الحرية: إنّ أهم دواعي الاستبداد هو القضاء على الحرية، بل إنّهما نقيضان لا يلتقيان ولا يجتمعان، والحرية هي الانعكاس العملي للقدرة الفكرية والعقلية على الاختيار والإرادة، لذلك حاول المستبدون أن يوجدوا منطقاً هزيلاً يغرّر بالجهلاء وأنصاف المتعلّمين عبر تسييس العقيدة ونفي حرية الإرادة والاختيار عقائدياً، وأنّ الإنسان مجبور وغير مُخيّر، وأنّ الخالق هو الذي يجبر الناس على الفعل خيراً كان أم شرّاً، وذلك لتبرير شيئين: إنّ الناس مجبورون على الخضوع للمستبد والظالم مهما طغت وطفحت شروره، وليس من حقّهم المعارضة والنقد؛ لأنّ الخالق هو الذي نصبه عليهم، والشيء الثاني: إنّ الحاكم غير مسؤول عن أعماله الجائرة واستبداده المطلق وإسرافه في الدماء والأعراض؛ لأنّه مجبور على أعماله وغير مسؤول عنها. وقد حاولت الحكومات المستبدة على طول التاريخ نشر هذا المفهوم عبر وعّاظها لفرض سيطرتها المطلقة وسلب الحريات، وكان الأمويون من الذين سبقوا الآخرين لإيجاد مذاهب تدعو إلى هذا الأمر، فأسسوا الجبرية والمرجئة و... يقول معاوية: «لو لم يرني ربي أهلاً لهذا الأمر ما تركني وإياه، ولو كره الله ما نحن فيه لغيره، وأنا خازن من خزان الله تعالى أُعطي ما أعطى الله وأمنع ما منعه، ولو كره الله أمراً لغيره». (التحفة العسجدية ـ يحيى بن الحسين: ص٣).

انتشار الأُميّة: بين أفراد المجتمع والجهل المعرفي لدى قطاعات واسعة من الناس، مما يفقدهم القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، ويوفّر أفضل الفرص لتضليلهم وسيطرة الحكام المستبدّين عليهم.

وجود ثقافة مجتمعية مهادنة للاستبداد: وقابلة للتعايش معه والعيش تحت ظلاله من قبيل تعظيم الحاكم والنظر إليه على أنّه لا يخطأ، أو كمَن لا يجوز نقده أو محاسبته.

فعندما تتولّد في الناس مفاهيم القدرية وأنّ الإنسان ليس في يده أيّ قدرةٍ لتغيير الواقع أو الإسهام في ذلك وأنّ كل ذلك بيد الله لوحده، يُساق الناس إلى المذابح كالقطعان وقد مسخوا إلى عبيد لا روح فيهم ولا إرادة لهم، ومن هنا كان الهدف من بعث الأنبياء وإرسال الرسول الظاهري، هو لإثارة الحجة الباطنة، وهي العقل وتحريك الإرادة ودفع الإنسان لحريته يقول تعالى: ﴿...وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾. (الأعراف: آية ١٥٧).

علاج الاستبداد والحد منه

العلاج لمرض خطير مثل الاستبداد لا يكون بالبخور، ولا يكون علاجاً شعبياً غامضاً، وإنّما يكون علاجاً على أُسس علمية يسير على محاور.

هذا ما سوف نتحدّث به في مقال قابل إن شاء الله تعالى.

ما زال الكلام في قصّة نبي الله نوح عليه السلام...

ولا أقول لكم عندي خزائن الله:

آخر ما يُجيب نوح قومه ويرد على إشكالاتهم الواهية.. إنّكم إذا كنتم تتصوّرون أنّ لي امتيازاً آخر غير الإعجاز الذي لدي عن طريق الوحي فذلك خطأ، وأقول لكم بصراحة: ﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ﴾ ولا أستطيع أن أُحقق كل شيء أريده وكل عمل أطلبه، حيث تحكي الآية عن لسانه ﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ﴾ ولا أقول لكم إنّني مطلع على الغيب ﴿...وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ولا أدّعي أنّني غيركم كأن أكون من الملائكة مثلاً ﴿...وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾.

فهذه الادّعاءات الفارغة والكاذبة يتذرّع بها المدّعون الكذبة، وهيهات أن يتذرّع بها الأنبياء الصادقون؛ لأنّ خزائن الله وعلم الغيب من خصوصيات ذات الله القدسية وحدها، ولا ينسجم الملك مع هذه الأحاسيس البشرية أيضاً.. فكل مَن يدّعي واحداً من هذه الأُمور الثلاثة المتقدّمة – أو جميعها – فهو كاذب.

وفي الختام يكرر التأكيد على المؤمنين المستضعفين بالقول: ﴿وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً....﴾. بل على العكس تماماً، فخير هذه الدنيا وخير الآخرة لهم وإن كانوا عفاة لخلو أيديهم من المال والثروة، فأنتم الذين تحسبون الخير منحصراً في المال والمقام والسن وتجهلون الحقيقة ومعناها تماماً.

وعلى فرض صحّة مدّعاكم أرذال و(أوباش) فـ ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ...﴾. أنا الذي لا أرى منهم شيئاً سوى الصدق والإيمان يجب علي قبولهم؛ لأنّي مأمور بالظاهر، والعارف بأسرار العباد هو الله سبحانه، فإن عملت غير عملي هذا كنت آثما ﴿إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.(هود: ٣١).

كفانا الكلام فأين ما تعدنا به؟!

القرآن الكريم يتحدّث عن قوم نوح عليه السلام أنّهم: ﴿قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا...﴾. فأين ما تعدنا به من عذاب الله ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. (هود: ٣٢).

وهذا الأمر يشبه تماماً عندما ندخل في جدال مع شخص أو أشخاص ونسمع منهم تهديداً ضمنياً حين المجادلة فنقول: كفى هذا الكلام الكثير، اذهبوا وافعلوا ما شئتم ولا تتأخروا، فمثل هذا الكلام يُشير إلى أنّنا لا نكترث بكلامهم ولا نخاف من تهديدهم، ولسنا مستعدين أن نسمع منهم كلاماً أكثر.

فاختيار هذه الطريقة إزاء كل ذلك اللطف وتلك المحبّة من قِبل أنبياء الله ونصائحهم التي تجري كالماء الزلال على القلوب، إنّما تحكي عن مدى اللجاجة والتعصّب الأعمى لدى تلك الأقوام.

في الوقت ذاته يشعرنا كلام نوح عليه السلام بأنّه سعى مدّة طويلة لهداية قومه، ولم يترك فرصة للوصول إلى الهدف إلّا انتهزها لإرشادهم، ولكن قومه الضالّين أظهروا جزعهم من أقواله وإرشاداته، وهذه المعادلة تتجلّى جيداً في سائر الآيات التي تتحدّث عن نوح عليه السلام وقومه في القرآن، ففي سورة نوح عليه السلام بيان لهذه الظاهرة بشكل واف - أيضاً - إذ تقرأ فيها: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾.(نوح: ٥ـ٩).

لقد أجاب نوح عليه السلام بجملة قصيرة على هذه اللجاجة والحماقة وعدم الاعتناء بقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللهُ إِن شَاءَ...﴾ فذلك خارج من يدي على كل حال وليس باختياري، إنّما أنا رسوله ومطيع لأمره، فلا تطلبوا منّي العذاب والعقاب، ولكن حين يحلُّ عذابه فاعلموا إنّكم لا تقدرون أن تفرّوا من يد قدرته أو تلجأوا إلى مأمن آخر ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾. (هود: ٣٣).

ثقة النملة بالله عزَّ وجلَّ

يُذكر أنّ عبداً صالحاً في يوم من الأيام رأى نملةً تقوم بجر حبّة قمح بجهد ومشقة إلى جحرها، فقال لها (وقد ألهمه الله (عزَّ وجلَّ) لغة الحيوانات): كم يكفيك من حبوب القمح لمدّة عام؟ فأخبرته النملة: حبتين، فقال لها سوف أضعك في صندوق واجعل لك حبتين لمدّة سنة، بدلاً من بحثك وتحمّلك المشقّة للعثور علي حبوب القمح وحملها إلى جحرك، وبالفعل أخذ العبد الصالح النملة وأغلق عليها صندوقاً ووضع لها حبتين من القمح.

ثمّ جاء إليها بعد مرور عام فوجد النملة قد أكلت حبّة واحدة وتركت الأُخرى، فتعجب من فعلها وسألها: ألَم تخبريني انك تأكلين حبتين في السنة ؟ وقد تركتكِ عاماً كاملاً ولكنّك أكلتي حبّةً واحدةً فقط، فقالت النملة: كانت تكفيني حبّتين وكان الله لا ينساني ويرزقني، أمّا عندما أقفلت عليَّ في هذا الصندوق خفت أن تنساني فأكلت حبّة وادّخرت حبّةً للسنة المقبلة حتى لا أموت جوعاً.

٥ شعبان المعظم

ولادة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، سنة ٣٨هـ.

٣ شعبان المعظم

ولادة سبط النبي الأكرم صلى الله عليه وآله،

الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، سنة (٤هـ)